المحاضرة العاشرة: مسرح القسوة

المفهوم:

يتحدث المخرج سعد أردش عن مسرح القسوة في كتابة الإخراج في المسرح المعاصر بقوله "مؤشرات روحية ، لها معان محددة تصب المتلقي بالإيماء، ولكن في قسوة يستحيل التعبير عنها في لغة منطقية قابلة للمناقشة" [1]. كما يريد للمسرح "ان يخترق الحياة من وجهة نظر جديدة كل الجدة: خسوف الانسان .. تصوير النهاية السوداء التي الت اليها حال المجتمع الانساني .. كذلك يجب أن لا يعكس الحقيقة على المجتمع ، كما لو انه يريد نفسه في المرآة حسب نظرية الأخلاقيين ، ولا يجوز أيضا أن يدخل للمجتمع مدخلا أخلاقيا أو سياسيا فالمسرح يجب أن يتحول إلى نار محرقة (طاعون بين البشر) ، ووسيلة التعبير هي الصور الفيزيقية القاسية التي يجب أن تتوصل إلى تقويم جهاز الإحساس عند المتلقين ، كما لو أن قوة عليا تسيطر على صالة المسرح ، إلى درجة تفقد الإنسان المتلقي وقتيا سيطرته العقلانية ، وتجعله يعيش حالة ثورية هدامة على الذكاء الإنساني "[2] . وبهذا نتلمس بان المخرج يريد تحول الحياة الواقعية الإنسانية إلى حياة سرية ميتافيزيقية روحية بدائية . ويعد ارتو صاحب هذا النوع من الاتجاهات.

انتو نين ارتو*:

يعتبر آرتو من المخرجين المسرحيين الذين ناضلوا من أجل مسرح حقيقي بعيد عن الزيف والابتذال الذي كان سائدا في تلك المرحلة التي عاش فيها فقد ناضل من أجل أن يستخرج البواعث

---

[42]- سعد أردش ، المصدر السابق ، ص 259.

[43]- سعد أردش المرجع السابق ، ص 260.

*- انتونين ارتو (1896-1948): مخرج وكاتب ومنظر مسرحي فرنسي، ارتبط بالحركة السريالية مؤلفا ومنظما، عام 1927 اسس مع (روجيه فيتراك) مسرح (الفريد جاري)، وقدم عددا من المسرحيات السريالية، دخل مستشفى الامراض العقلية عام 1927 واخرج منها عام 1946 قبل وفاته بعامين، قدم كتاب (المسرح وقرينه) عام 1938. ينظر: تيلر، جون رسن ، المصدر السابق ، ص40. نقلا عن الاتجاهات الإخراجية في المسرح العالمي، جامعة بابل http//ropstitory.uobabylon.ud

القاسية التي تتحكم في أفعال البشر أراد لمسرحه أن يكون كاشفا للأمراض المزرية التي تعاني منها الإنسانية فلا نمطية ولا رتابة في مسرحه بل يجب أن يسود التوتر فالمسرح بالنسبة له وسيلة للتعبير أن الماورائيات أو الميتافيزيقا كما تسميها الفلسفة. ما ورائيات تجعل من المتلقي يفقد الإحساس وتصيره ميتا وهو حي أو نائم يتعرض للكوابيس التي تنجلي بمجرد استفاقته.

ولا يقصد أرتو بالقسوة الظلم الذي يتعرض له البشر جراء نزوات غير أخلاقية شوفينية أو سادية بل يريد منها أن تكشف حيوانية الإنسان في تعامله مع الإنسان وابتعاده عن العقل المثالي. وبهذا فهو يدعو إلى مسرح يثور على كل ما هو مألوف وعلى كل ما اعتاد عليه الناس، والممثل بالقسوة والأحوال القاسية التي يعيشها الإنسان هو اتجاه يتضمن قدرا هائلا من الصلابة يفوق صلابة الحياة نفسها، كما يتضمن هذا الاتجاه فكرة أن الكلام وسيلة من وسائل الاتصال لان الكلام يعد من أدوات التعبير المسرحي حسب رأيه، ومن ثم فانه لا مكان له في المسرح[3].

لقد دعا ارتو إلى التقليل من الإيهام الذي يعمل عليه المسرح التقليدي، فهو يدافع عن فكرة مفادها أن كما للأحلام مهمة تدخل في لا وعي الإنسان وتعوضه عن حاجات يفتقدها في الواقع، يجب أن يكون دور المسرح ثانويا في التأثير على المشاعر بل يجب أن يكون للمسرح دور حيوي ينزاح عن التأثير العاطفي ويعمل على إيقاظ العقل، فقد عد الوظيفة الرئيسة لمسرحه "هي طرد الأوهام والخيالات"[4]. واعتبار المسرح وظيفة نفسية وأخلاقية ثانوية، والاعتقاد بأن الأحلام نفسها ليست سوى وظيفة تعويضية فقط، فيجب التقليل من التأثير الشاعري العميق لأحلام والمسرح إلى حد سواء.

لذلك فإن استخدام أسلوب (الحلم) أمر أساسي في دراما (ارتو) فقد مكنه هذا الأسلوب من استخدام الحوار في إطار مسرحي بحت بعيدا عن مقتضيات الأسلوب الأدبي، ومكنه أيضا من أن

---

[44]- ينظر ولورث، جورج، مسرح الاحتجاج والتناقض، ت: عبد المنعم اسماعيل (بيروت: المركز العربي للثقافة والعلوم، 1979)، ص37. نقلا عن جامعة بابل جامعة بابلhttp//ropstitory.uobabylon.ud

[45]- بروستاين،روبرت، المسرح الثوري، ت: عبد الحليم البشلاوي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر، ب.ت)، ص330.

يعلل استخدامه للرموز الهيروغليفية وسيلة لنقل أفكار معينة عن طريق الاتصال البصري، فضلا عن ذلك باستخدام هذا الأسلوب استطاع أن يقدم الأشباح والدمى وغيرها. ومن اجل ذلك كان مسرح (ارتو) يدعو إلى الأسطورة والسحر والميتافيزيقية [5]. يفهم الباحث أن هذا المسرح الذي يدعو إليه (ارتو) مسرح يدري أحداثا غير اعتيادية مسرح يدعو إلى اللاشعور الداخلي من اجل أيقاظ الجمهور.

يتعامل (ارتو) مع النص المسرحي في ثلاث مراحل مختلفة :-

" المرحلة الأولى: وضع النص في مكانة عالية، فاحتفظ بمقام النص وجعله في الصدارة، ومعناه الخضوع للمؤلف، والخضوع للنص في العرض المسرحي.

المرحلة الثانية: كف عن الدفاع عن فكرة عدم المساس بالنص، ونفى حرفية النص لصالح روح النص ، وتلا هذا الشيء حرية المخرج، حرية العقل المطلق، استبدلت سيادة النص، شيئا فشيئا، سنطلب من الإخراج، لان النص أن يعنى بتجسيد الصراعات القديمة.

المرحلة الثالثة: استبعاد النص، والتعويض عنه بالصراخ والالتواءات ، يفعل بالنص ما يحلو له، وهذه المرحلة أذل فيها النص، وشوهه، وافقده صفاته الرئيسة تدريجيا"[6].

يعد الممثل عنصرا له "أهمية بالغة، ما دام نجاح العرض متوقفا على أدائه، وعنصرا سلبيا، ما دامت كل مبادراته الشخصية مرفوضة له رفضا باتا"7. سواء كان ذلك بالحوار، أو عن طريق التمثيل الصامت لنقل الأفكار التي يريدها المخرج عبر الخيالات والأوهام.

أراد من الجمهور أن يكون تواقا للغموض، فالمتلقي يجلس في مسرح القسوة في الوسط، في حين يحيط العرض به. فضلا عن أن الجمهور يجب أن يعي الأفكار الجليلة والمقصودة المتعلقة بالقسوة، من خلال لغة يفهمها عن طريق نظره جمالية لارتو. فالمسرحية على وفق رأي ارتو لا بد أن تتغير شكلا

---

[46] -ينظر : ولورث،جورج ، المصدر السابق، ص50. نقلا عن جامعة بابل جامعة بابلhttp//ropstitory.uobabylon.ud

[47]- انتونين ، ارتو، المسرح وقرينه، ت: سامية اسعد، (القاهرة : دار النهضة العربية)، 1973، ص.170

[48]- المصدر نفسه ، ص87. نقلا عن جامعة بابلhttp//ropstitory.uobabylon.ud

ولغة حتى تتضح للجمهور ، لذلك عمد مسرح ارتو إلى إشراك المتلقي في العمل المسرحي اشتراكا فعليا كاملا[8].

دعا ارتو إلى فضاء مسرحي جديد يقوم على نبذ خشبة المسرح والصالة معا، واستبدلهما بمكان واحد، بلا حواجز من أي نوع، ليصبح المسرح الأحداث نفسها، ويعيد الاتصال المباشر بين المتلقي والعرض، والممثل والمتلقي، نظرا لان المتلقي الذي وضع وسط الأحداث، محاط ومتأثر بها. والديكور لا وجود له بالمعنى العادي، بل هنالك شخصيات هيروغلوفية، أزياء شعائرية،ومانيكينات طولها عشرة أمتار وأقنعة ضخمة وآلات موسيقية في حجم الإنسان، وأشياء مجهولة الشكل والغاية[9].

استطاع ارتو من خلال بحثه الدائب عن أنماط وطرق جديدة للإضاءة تعتمد على نشر آثار الذبذبات الضوئية على شكل موجات، أو طبقات، أو قصف بالسهام النارية. ولكي توجد أنواعا خاصة من الألوان، علينا أن ندخل في الضوء ثانية، عناصر الدقة، والكثافة، والسمك... الخ، لتوجد الحر، والبرد، والغضب، والخوف وغيرها.فضلا عن ذلك فقد دعا إلى الابتعاد عن الزي المسرحي الحديث قدرا من الإمكان لا حياء بالقديم، بل لان بعض أنواع الأزياء ذات غاية شعائرية ترجع إلى آلاف السنين، وان كانت قد قدمت في لحظة لا تزال تحتفظ بجمال مظهرها لدلالتها، ولقربها من التقاليد التي أوجدتها[10].

---

[49]- ينظر: ولورث، جورج ، المصدر السابق، ص43. نقلا عن جامعة بابلhttp//ropstitory.uobabylon.ud

[50]- ينظر : ارتو، انتونين ، المصدر السابق، ص84-85. نقلا عن جامعة بابلhttp//ropstitory.uobabylon.ud

[51]- المصدر نفسه ، ص84-85.

ملاحظة: هذه المحاضرة (مسرح القسوة) اعتمدنا فيها على موقع جامعة بابل العراقhttp//ropstitory.uobabylon.ud